obeikandl.com

الفتنة الطائفية في أرض النيل
وعلاجها من القرآن والإنجيل

الفصل الثاني

لماذا مصر؟

◆◆◆

obeikandl.com

إن مصر بالنسبة للعالم الإسلامي حبة العقد التي إذا فرطت فرط العقد، وهي بمثابة المضغة التي في الجسد إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد، وهي في موقع القلب من أمة الإسلام فإذا كانت قوية فإن الأمة تكون قوية، وبخير، ومتعافية من كل شر، وإذا كان هذا القلب ضعيفاً أصبحت الأمة ضعيفة، وتعاني من الإرهاق، والانحطاط، والتعثر، وعدم القدرة على النهوض.

كانت مصر - منذ فجر التاريخ الإنساني - منارة للتوحيد الديني.. وللمدنية، والحضارة.. ففي ربوعها - وعلى عهد آدم -عليه السلام- بعث الله نبيه ورسوله إدريس -عليه السلام- الذي كان ثالث الأنبياء - بعد آدم، وشيث[1]. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾[2].

وكما أرسى إدريس -عليه السلام- قواعد التوحيد الديني، بمصر - منذ فجر التاريخ - كذلك أقام قواعد العلم، والحكمة، والمدنية، والحضارة.. وبعبارة ابن جلجل (بعد٣٧٢هـ٩٨٢م) :«فلقد رسم تمدين المدن، وجمع له طالبي العلم بكل مدينة، فعرفهم السياسة المدنية، وقرر لهم قواعدها.. وعلّمهم العلوم، وهو أول من استخرج الحكمة، وعلم النجوم، فإن الله - عز وجل - أفهمه أسرار الفلك، وتركيبه، ونقط اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب»[3]، فارتبط التوحيد بالمدنية، والحكمة، والحضارة في تاريخ مصر، وتراثها منذ فجر التاريخ.

* وفي مصر عاش عدد من الأنبياء والمرسلين، الذي جددوا عقيدة التوحيد في تاريخ المصريين القدماء، ومن هؤلاء الأنبياء، والمرسلين أبو الأنبياء إبراهيم الخليل - عليه السلام- الذي جاءها في عصر الهكسوس (١٦٧٥-١٥٨٠ق.م).

* وكذلك يوسف- عليه السلام- في عهد الأسرة الخامسة عشرة- التي بدأ حكمها

(١)عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٢٤.

(٢)(مريم/ ٥٦-٥٧).

(٣)عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٢٥،٢٦.

سنة ١٦٧٥ق.م- وأبوه يعقوب، وبنوه- عليهم السلام-.

* كذلك، ولد، ونشأ، وبعث في مصر موسى- عليه السلام- وأخوه هارون- عليه السلام- (حوالي ١٢٠٠ق.م).. وعليه نزلت التوراة بلغة مصر- الهيروغيفية- قبل نشأة العبرية بقرون..!.

* وإلى مصر لجأ المسيح عيسى ابن مريم- مع أمه- عليهما السلام- ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾[1].

* وإذا كان الله- سبحانه وتعالى- لحكمة بالغة - قد وصف أول أنبياء مصر- إدريس- «بالصديق»..فكذلك كان الوصف لإبراهيم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[2] وليوسف: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾[3] ولأم عيسى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[4].

* ولقد ظل التوحيد- مع المدنية - يشعان على أرض مصر عبر تاريخها الطويل.. يتجددان فيها ليغالبا الوثنية، والتخلف اللذين يأتيانها في ركاب الغزاة.

ففي ربوعها ارتفعت مناجاة «أمنحتب الثالث»(1397-1360 ق. م) لله الواحد الأحد:« أيها الموجد دون أن توجَد... مصوِّر دون أن تصوَّر..هادي الملايين إلى السبل...الخالد في آثاره التي لا يحيط بها حصر».

* وفي ربوعها تجدد التوحيد مع «أمنحتب الرابع» (أخناتون) (1370-1349ق.م) الذي ناجى الواحد الأحد: « أنت إله، يا أوحد، لا شبيه لك.. لقد خلقت الأرض حسبما تهوى، أنت وحدك. خلقتها ولا شريك لك..أنت خالق

(١)(المؤمنون/ ٥٠).
(٢)(مريم/ ٤١).
(٣)(يوسف/ ٤٦).
(٤)(المائدة/ ٧٥).

الجرثومة في المرأة.. والذي يذرأ من البذرة أناسًا..وجاعل الولد يعيش في بطن أمه..مهدئًا إياه حتى لا يبكي.. ومرضعًا إياه في الرحم.. وأنت معطي النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته حينما ينزل من الرحم في يوم ولادته، وأنت تفتح فمه دائمًا، وتمنحه ضروريات الحياة»[1].

* وعبر هذا التاريخ المصري الطويل- تاريخ- التوحيد والمدنية-غالبت مصر العديد من التحديات: غالبت بداوة الهكسوس.. ودمار الغزوة الفارسية التي قادها «قمبيز» (529 -522ق.م).. والقهر الحضاري، والديني، والثقافي، والسياسي الذي فرضه الغرب الإغريقي- الروماني- البيزنطي على الشرق، مدة عشرة قرون- من «الإسكندر الأكبر» (356-325 ق.م)- في القرن الرابع قبل الميلاد- إلى «هرقل» (610-641م) - في القرن السابع للميلاد-.

* وعندما نجّس الرومان- إبان هذه الغزوة – التوحيد – الذي جدده المسيح – عليه السلام- رفعت مصر لواء النقاء لهذا التوحيد مع أسقف الإسكندرية «آريوس» (256-366م)- الذي أعلن: «إن الله جوهر أزلي أحد، لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه مخلوق، حتى «الكلمة» فإنها، كغيرها من المخلوقات، مخلوقة من لا شيء. وأن المسيح لم يكن قبل أن يولد.. وأن الله قد نجاه من الصلب- الذي وقع على الشبيه -..»

ولقد ظل هذا التوحيد يغالب شرك التثليث، والوثنية حتى ظهر الإسلام، وجاءت الفتوحات الإسلامية (سنة20هـ-640م) فحررت المظلومين من القهر الحضاري، والديني الذي فرضه الغرب الروماني على الشرق لأكثر من عشرة قرون.

* ولقد شهد بهذا التحرير الإسلامي- للأوطان.. والضمائر..والعقائد.. كل

(١)د. عبد المنعم أبو بكر: إخناتون، طبعة القاهرة، سنة١٩٦١م.

الذين شهدوه، ونعموا بآثاره في العدل، والحرية، والأمن، والأمان..وكل الذين درسوه بحياد، وإنصاف..فكتب شاهد العيان، الأسقف الأرثوذكسي-أسقف «نقيوس»- «يوحنا النقيوسي» يقول:(**إن الله الذي يصون الحق، لم يمهل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين- [العرب المسلمين]..**».

ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر..وكان هرقل حزينًا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم..مرض هرقل ومات.. وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما، سلبًا أو نهبًا، وحافظ عليها طوال الأيام..

ودخل الأنبا «بنيامين»- بطريرك المصريين- مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم في العام13 - (أي العام الثالث عشر من تاريخ هروبه)- وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون:هذا النفي، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس»- البطريك المعين من قبل الدولة الرومانية في مصر-، وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر.

وخطب الأنبا «بنيامين»- في دير«مقاريوس»- فقال :«**لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة، والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهاد، والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون..**»[1].

*ولقد جدد هذه الشهادة - بعد خمسة قرون من الفتح الإسلامي- الأسقف «ميخائيل الأكبر» Michael theElder (1126-1199م) بطريق أنطاكية

(١)يوحنا النقيوس: تاريخ مصر رؤية قبطية للفتح الإسلامي: - ترجمة ودراسة« د. عمر صابر عبد الجليل. طبعة دار عين. القاهرة سنة ٢٠٠٠م، ص ٢٠١، ٢٢٠.

اليعقوبي- فقال: «إن إله الانتقام، الذي تفرد بالقوة والجبروت، والذي يذيل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء.. لما رأى شرور الروم، الذين لجئوا إلى القوة، فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة، ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم.. ولما أسلمت المدن للعرب، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها.. ولم يكن كسباً هيناً أن نتخلص من قسوة الروم، وآذاهم، وحنقهم، وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام..»[1].

وكذلك، شهد على هذه الحقيقة، من نصارى مصر، في العصر الحديث:المؤرخ يعقوب نخلة روفيلة (1847-1605م)- صاحب كتاب (تاريخ الأمة القبطية)- الذي كتب يقول: «ولما ثبت قدم العرب في مصر، شرع عمرو بن العاص في تطمين خواطر الأهلين، واستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم، وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.

وأول شيء فعله من هذا القبيل :استدعاء «بنيامين» البطريرك الذي اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أماناً، وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور، فلا خوف عليه ولا تثريب، ولما حضر، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع، أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه، وعلى رعيته، وعزل البطريرك الذي كان أقامه هرقل، ورد «بنيامين» إلى مركزه الأصلي معززًا مكرمًا.

واستعان عمرو في تنظيم البلاد بفضلاء القبط، وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالي، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلاً منها حاكم قبطي ينظر في قضايا الناس، ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية، واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوي نزاهة، واستقامة، وعين نوابًا من القبط، ومنحهم حق التداخل في القضايا المختصة بالأقباط، والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية، والأهلية، وكانوا بذلك

(١)توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٧٢، ٧٣.

في نوع من الحيرة، والاستقلال المدني، وهي ميزة كانوا قد جردوا منها في أيام الدولة الرومانية.

وضرب عمرو بن العاص الخراج على البلاد بطريقة عادلة..وجعله على أقساط في آجال معينة، حتى لا يتضايق أهل البلاد..وبالجملة، فإن القبط نالوا في أيام عمرو ابن لعاص راحة لم يروها من أزمان..»[1]، أي أن الفتح الإسلامي- بهذه الشهادة - قد حرر الأرض، والوطن، وحرر الضمائر، والعقائد..وكان إنقاذًا، وخلاصًا للنصرانية الشرقية، وحرر دور العبادة - الكنائس والأديرة - وردها إلى أصحابها، وحرر الإنسان- وأمَّن الهاربين، وأشرك أهل مصر في حكم البلاد، لأول مرة منذ عشرة قرون..!.

ذلك هو تاريخ مصر- في التوحيد.. والمدنية- وتلك هي تقلباته بين قهر الغرب، وتحرير الإسلام.. وهذه بعض شهادات اعلماء الأعلام- من غير المسلمين- على التحرير الذي أنجزته فتوحات الإسلام.

ولأن الإسلام قد أحيا مصر- بعد قرون من الموات، والقهر الحضاري والديني- فلقد تبوأت مصر مكان القيادة، والإمامة، والريادة في تاريخ الإسلام.. فخدمت علوم الحضارة الإسلامية في مختلف ميادين تلك العلوم . وغدت الكنانة التي يرابط أهلها على ثغور الإسلام في مو جهة كل محاولات الغزو الغربي، التي استمرت جاهدة لإعادة اختطاف مصر، و لشرق من تحرير الإسلام.

*فمصر هي التي قادت التحرير من الغزوة الصليبية- التي دامت قرنين من الزمان (489-690هـ 1095-1291م)- والتي مثلت أشهر ألوان الاستعمار الاستيطاني في التاريخ الوسيط.

* وهي التي كسرت شوكة الغزوة التترية (658هـ-1260م) التي هددت

(١)يعقوب نخلة :تاريخ الأمة القبطية، تقديم: د. جودت جبرة، طبعة مؤسسة مار مرقس لدراسة التاريخ، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٥٤-٥٧.

الحضارة والوجود الإسلامي.

* وهي التي تصدت للغزوة الصليبية الثانية- التي بدأت عقب إسقاط غرناطة (897هـ-1492م).. حتى لقد ذهب جيشها فحارب البرتغاليين على شواطئ الهند سنة(910هـ 1504م).

* وهي التي ساعدت، ودعمت ثورات التحرر الوطني- ضد الاستعمار الغربي (بآسيا وإفريقيا)- في العصر الحديث.

* وهي الصامدة- المتحينة للفرصة بإزاء الاستعمار والاستيطان الصهيوني على أرض فلسطين ولأن هذه هي مكانة مصر- في المواجهة التاريخية، والحضارية بين الغرب، والإسلام- استحقت أن تعقد لها في كتب التاريخ الإسلامي الأبواب التي تتحدث عن «فضائل مصر»..بل والكتب التي تؤلف تحت هذا العنوان[1]، وهي الكتب، والفصول التي رصدت ما جاء، عن مصر في القرآن الكريم.. من مثل: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾[2].﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[3].﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾[4].﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾[5].﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ

(١)على سبيل المثال :عمر بن محمد بن يوسف الكندي: فضائل مصر، تحقيق: إبراهيم أحمد العدوي، على محمد عمر، طبعة مكتبة وهبة، القاهرة سنة ١٩٧١م.. وكذلك ما كتبه المقريزي- في الخطط - وفي السيوطي - في حسن المحاضرة - وابن تغري بردي - في النجوم الزاهرة - والنويري - في نهاية الأرب- والقلقشندي - في صبح الأعشى - وابن سعيد - في المغرب - وابن ظهيرة - في محاسن مصر والقاهرة، .. تحت عنوان «فضائل مصر»...

(٢)(يونس/ ٨٧).

(٣)(يوسف/ ٩٩).

(٤)(البقرة/ ٦١).

(٥)(يوسف/ ٢١).

أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾[1]، وغيرها من عشرات الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر مصر بالقرآن الكريم.

* ومثل ما روي- في فضل مصر-عن رسول الله ﷺ -: (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا أَوْ قَالَ ذِمَّةً وَصِهْرًا)[2]. (إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفًا، فذلك الجند خير أجناد الأرض، لأنهم في رباط إلى يوم القيامة)[3] هذه هي مصر.. التي قال عنها قائد فتحها -عمرو بن العاص-: «إن ولايتها جامعة، تعدل الخلافة»، والتي جاء في المأثورات: «من أرادها بسوء كبه الله على وجهه».«ومن أراد أهلها بسوء صرعه الله» ، والتي قال عنها سفيان بن عيينة (107- 198هـ725-814م): «إنها كنانة الله، يحمل فيها خير سهامه»[4].

والتي صدّق التاريخ على معاني هذه الأحاديث، والمأثورات التي قيلت فيها.. فكانت-عبر تاريخ الإسلام- مقبرة الغزاة، والإمبراطوريات الاستعمارية.. لأن أهلها« في رباط إلى يوم القيامة..».

ولأن هذا هو تاريخ مصر- في التوحيد الديني.. وفي المدنية والحضارة-.. وتلك هي مكانتها في الإسلام..وفي مواجهة التحديات الصليبية والصهيونية..كان التآمر عليها.

* فالصليبيون اعتبروا السيطرة عليها الشرط الضروري لاحتلالهم للقدس الشريف..!.

---

(١)(الزخرف/ ٥١).

(٢)أخرجه مسلم رقم٢٥٤٣.

(٣)علي بن حسام الدين المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٩م (١٤/ ١٧٢رقم٣٨٢٦٢).

(٤)عمر بن محمد بن يوسف الكندي: فضائل مصر: ص٤٥، ٤٦، ٤٩.

* وجمال الدين الأفغاني(1254-1314هـ1838-1897م) سماها: «بوابة الحرمين الشريفين»..!

* والمنظمة الصهيونية العالمية اعتبرت تفتيتها شرطًا لتفتيت كل وطن العروبة، وعالم الإسلام، فقالت :«إذا تفتتت مصر تفتت الباقون...!».

ولتحقيق هذه المقاصد المعادية أعلن الأعداء عليها الحرب.. لا بالغزو الخارجي فقط- فهي قد تمرست على مواجهته- وإنما- أيضًا- بغواية الأقليات فيها- وفي محيطها العربي، والإسلامي- لتصبح بين «المطرقة» و«السندان».. مطرقة التحديات الخارجية.. وسندان زعزعة الاستقرار في جبهتها الوطنية الداخلية[1]..!.

* مصر حباها الله - تعالى- بطبيعة جغرافية هيئتها لتكون كنانة الله في أرضه، ومصنعاً للتاريخ، والحضارات الأساسية التي لعبت دوراً محورياً في تاريخ البشرية، فلم يكن عبثاً أن كثيراً من قصص القرآن الكريم التي قصّها الله - سبحانه وتعالى- على محمد ﷺ - كان مسرحها أرض مصر الكنانة، ومن هذه القصص قصة موسى -عليه السلام- وفرعون حيث أن فرعون كان يمثل دولة تمتلك من القوة، والإمكانيات المادية، وضخامة البنيان، والعمارة ما ليس له مثيل لا في الأمم السابقة، ولا اللاحقة، ولا زالت آثارها شاهدة عليها للآن فأعظم هذه الآثار الأهرامات - قبور الفراعنة- التي حتى الآن، ومع كل التطور العلمي، والتكنولوجي لم يتوصل خبراء، وعلماء الآثار إلى كيفية بنائها حيث يقفون أمامها حائرين، وعاجزين عن حل ألغازها إلى أن وصل الأمر ببعضهم أن يقول بأن الله- سبحانه وتعالى- قد خلقها على هذا الشكل، فمصر يوجد فيها أكثر من ثلثي آثار الأمم، والحضارات السابقة الموجودة في العالم.

أما مصر في تاريخ المسلمين فمنذ أن منّ الله على المسلمين بفتحها في عهد الخليفة

(١)د. محمد عمارة - الفتنة الطائفية متى وكيف وأين، ص٩: ٢٠ بتصرف.

العادل عمر بن الخطاب فإنها قد لعبت دوراً محورياً، وأساسياً، ورئيسياً في صناعة هذا التاريخ المجيد، وفي بلورة فكرهم، ووجودهم بين الأمم، وحماية هذا الوجود من الاندثار، والضياع عندما تعرضت الأمة إلى أخطر الحملات الاستئصالية، والتي كادت أن تهدد وجودها في التاريخ، وأشهرها الحملات الصليبية، وغزوات التتار، والمغول، وكيف كانت مصر قلعة الإسلام الحصينة، وكنانة الله في أرضه.

فعندما فتح المسلمون بقيادة عمرو بن العاص مصر فتحت الطريق أمامهم لفتح معظم أفريقيا، جنوباً، وشمالاً حتى وصلوا إلى الأندلس غرباً. فكان انضمام مصر إلى حاضنة الإسلام، ودولته الفتية مصدر قوة بشرية، واقتصادية حيث أن خراجها جعل خزائن بيت مال المسلمين تفيض بالأموال، والخيرات التي صار ينفق منها على جيوش الفتح، والأمصار الفقيرة حتى أن المسجد الأقصى، وقبة الصخرة المشرفة في بيت المقدس تم بناؤهما من خراج مصر لمدة سبع سنوات، ولم يبق بلد في العالم الإسلامي لا يوجد فيه تكية لا يصرف عليها من خراج مصر، وخيراتها حتى سميت بخزائن الأرض، ألم يقل يوسف- عليه السلام- لعزيز مصر ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾[1].

إن دول النفط الحالية كانت تعيش قبل اكتشاف النفط على ما تقدمه لها مصر من كساء، وغذاء، وكانت ترسل لهم البعثات لطبية، والتعليمية، وهي أول من أدخل الكهرباء إلى المسجد الحرام، والمسجد النبوي في بداية القرن العشرين، وإن كسوة الكعبة كانت تتكفل بها مصر حتى عام1963م، وتوقفت عن ذلك لأسباب سياسية.

وتمضي الأيام، وتمر السنون فإذا بالفاطميين، والحشاشين، والباطنيين الذين تمردوا على الخلافة العباسية في بغداد يستولون على مصر مما أصاب العالم الإسلامي، والدولة الإسلامية بضعف جعل الدول الأوروبية الغربية الصليبية يطمعون في

(١)(يوسف/ ٥٥).

العالم الإسلامي مما دفعهم لتجييش الجيوش، وتشكيل الحملات الصليبية، وشن حروب على المسلمين مستهدفين في البدايات بلاد الشام، وخصوصاً الجزء الأقدس، والمبارك منها فلسطين، وقلبها القدس التي كانت تحت سيطرة الفاطميين الشيعة يوم ذاك فسلموا بيت المقدس للصليبيين دون قتال فاستمرت في أيديهم لمدة ما يقارب التسعين عاماً إلا أن بعث الله البطل يوسف بن أيوب صلاح الدين الأيوبي فقام بتوحيد مصر مع الشام بعد القضاء على دولة الفاطميين التي تحالفت مع الصليبيين، وجيش جيشاً قوياً يضم مصريين، وشاميين، وأكراد، وأتراك، وانطلق به من الكنانة كالسهم إلى حطين في أرض فلسطين ليحطم جيوش الصليبيين في معركة كانت فاصلة في تاريخ المسلمين.

وتاريخ الحروب الصليبية كانت المقدمة لاستعادة بيت المقدس أولى القبلتين، وثالث المسجدين[1]، ومسرى الرسول محمدﷺ - ولكن الصليبيين قد عادوا بعد حوالي ثلاثين عاماً في عام1221م بحملة صليبية جديدة بقيادة (بيلاج) تستهدف الاستيلاء على مصر بكاملها انتقاماً من مصر لأن الجيش الذي استعاد منهم القدس انطلق من مصر، ولكن مصر الكنانة كانت لهم بالمرصاد حيث قام جندها الأبطال الذين بشّر بهم رسول اللهﷺ - بإغراق الأسطول الصليبي في دمياط، وتم تحطيم هذه الحملة، والقضاء عليها، ولكن الصليبيين لم ييأسوا فأعادوا الكرة مرة ثانية بعد حوالي ثلاثين عاماً فقاموا بحملة صليبية جديدة لأنهم أصبحوا على قناعة بأنهم لن يستقروا في المنطقة، ولن يستطيعوا إعادة احتلال القدس، والاستمرار في المنطقة إلا إذا سيطروا على مصر فشكلوا حملة صليبية جديدة بقيادة لويس التاسع في عام1250م وكانت هذه الحملة معبأة بالحقد الأسود على الإسلام، والمسلمين كما

(١) التي تشد لهم الرحال، فعن أبي هريرة ﷺ عنِ النبيﷺ قال: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مَساجِدَ: المسجدِ الحرامِ، ومسجدِ الرسولﷺ ومسجد الأقصى» أخرجه البخاري رقم ١١٣٢ ومسلم رقم١٣٩٧.

تدل الرسالة التي بعث بها لويس التاسع إلى الملك أيوب ابن الملك العادل حاكم مصر في ذلك الوقت حيث جاء فيها:« كنت قد وجهت إليك عدة إنذارات فلم تحفل بها، وقد اتخذت الآن قراري سوف أهاجم بلادك، ولن أعود عن رأيي حتى وإن أبديت ولاءك للصليب، وإن الجيوش التي تدين لي بالطاعة لتملأ الجبال، والسهول، وهي بعدد الحصى، والتراب، وتسير إليك بسيوف القدر».

وتحدث لويس في الرسالة عن انتصار الصليبيين على المسلمين في أسبانيا قائلاً: «لقد طاردنا جماعتكم كقطيع البقر، وقتلنا الرجال، والنساء، وسبينا البنات، والصبيان أليس في ذلك عبرة لك؟.

أما جواب الملك أيوب على رسالة لويس فكانت: « أنسيت أيها الأحمق الأراضي التي كنتم تحتلونها ففتحناها في الماضي القريب وحتى من عهد قريب؟ أنسيت ما أنزلنا بكم من فواجع»: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1] فهزيمتك محتمة، ولن تلبث أن تندم أشد الندم على المغامرة التي تورطت فيها.

فكانت معركة المنصورة التي تمكن فيها بضع عشرات من السفن المصرية من إنزال هزيمة نكراء بالأسطول الفرنسي الصليبي حيث طوقت أفوج من المتطوعين من الشعب المصري المسلم المجاهد جيش الغزاة الذي حاول فك الحصار عن الأسطول الفرنسي وما هي إلا ساعات قليلة حتى كان الصليبيون في حصار شديد، وإذا بلويس التاسع يستسلم، ويطلب الأمان، واقتيد إلى المنصورة مهزوماً مخذولاً مدحوراً مغلولاً، فهذه المعركة الخالدة كانت بمثابة السهم الأخير الذي أطلقته الكنانة، والذي لو طاش- لا سمح الله- لاستأصلت أمة الإسلام من الوجود.

وبعد أربعين عاماً تقريباً وفي عام1291م أطلق المسلمون بقيادة مصر طلقة

(١)(البقرة/ ٢٤٩).

الرحمة على الحروب الصليبية في معركة عكا الخالدة بقيادة الأشرف بن قلاوون، وابنه خليل حيث تم القضاء نهائياً على الوجود الصليبي في المنطقة، وبذلك أنقذت مصر العالم الإسلامي من خطر مميت.

ولقد توافقت الحروب الصليبية مع اجتياح التتار، والمغول للعالم الإسلامي من جهة الشرق، وبمنتهى الوحشية، والدموية حتى أن المسلمين أصابهم اليأس، والإحباط، وترسخ في أعماقهم بأن التتار، والمغول لا يمكن هزيمتهم، وخصوصاً بعد اجتياحهم بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ووصولهم إلى دمشق، وفلسطين، وحيث كانوا ينشرون الخراب، والدمار، ويزرعون الموت، والهلاك أينما مرّوا، أو حلّوا ولكن السهم الأخير مرة أخرى كان بيد مصر ففي عام1260م انطلق جيش مصر الكنانة بقيادة البطل المسلم قطز إلى أرض فلسطين المباركة ليلتقي مع جيش التتار، والمغول في قرية عين جالوت في شمال فلسطين فكان نصر الله المبين على يد الجيش المصري المسلم بقيادة المملوكي قطز، واندحر التتار، والمغول، وأخذ الجيش المصري يطاردهم إلى دمشق، ثم حلب، وليطهر بلاد الشام منهم فكانت مصر مرة أخرى هي السهم الأخير الذي لو طاش لتم اجتياح مصر، وأبيد المسلمون ولتمكن التتار، والمغول من إطلاق رصاصة الرحمة على دين الإسلام حيث أنهم كانوا يخططون لاجتياح مكة، والمدينة ولكن الله تكفل بحفظ دينه فكانت مصر الكنانة للمرة الثانية بعد الحروب الصليبية هي قدر الله بحفظ هذا الدين.

*وتمضي الأيام، وتمر السنون وإذا بالصليبيين يعودون مرة أخرى بعد ستة قرون تقريباً لاحتلال بلاد المسلمين فبدأوا بمصر فكان الصراع بين بريطانيا، وفرنسا في نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر على مصر لأنهما استخلصتا العبرة من الحروب الصليبية بأن الذي يفوز بمصر يفوز بالعالم الإسلامي، وأن لا استقرار لأي احتلال أجنبي في المنطقة بدون احتلال مصر، فجرت معركة أبي قير البحرية الشهيرة على شواطئ مصر بين الأسطول الفرنسي، والبريطاني وقعت

خلالها في الأسطولين خسائر فادحة، وفي عام1798م احتل الفرنسيون مصر ثلاث سنوات تقريباً بعدها اضطر الفرنسيون تحت ضغط جهاد الشعب المصري للانسحاب.

*وتمضي الأيام، وتمر السنون فإذا ببريطانيا تعود بعد ثمانين عاماً من الحملة الفرنسية فتحتل مصر عام1882م ليدخل العالم الإسلامي في مرحلة خطيرة فمن مصر بدأت بريطانيا تحيك المؤامرات ضد الدولة العثمانية، وتخطط لاحتلال العالم الإسلامي فكان احتلال بريطانيا لمصر بمثابة انفراط لحبة العقد الذي ينظم العالم الإسلامي ثم أن جاءت الحرب العالمية الأولى عام 1914م حتى كان جميع العالم الإسلامي تقريباً يخضع للاحتلال البريطاني مع نهاية الحرب وبذلك انفرط العقد بالكامل.

- وبعد الحرب العالمية الثانية عندما قررت الولايات المتحدة الأمريكية وراثة نفوذ بريطانيا في العالم الإسلامي بدأت بمصر فوقع صراع دولي بينهما وصل ذروته في العدوان الثلاثي على مصر عام1956م حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعرف أن زحزحة بريطانيا من مصر يعني زحزحتها من المنطقة بالكامل لذلك كان موقف الولايات المتحدة ضد هذا العدوان، وأصرت على انسحاب بريطانيا، وفرنسا، وإسرائيل من الأراضي المصرية فوراً، وبالفعل كان جلاء بريطانيا عن مصر هو بمثابة انتهاء لها كدولة عظمى دخلتها وهي إمبراطورية لا تغيب الشمس عن أملاكها، وخرجت منها وقد غابت عنها الشمس.

ولم يتوقف الأمر على الحملات العسكرية ضد مصر، وإنما عندما أراد الاستعمار التمهيد لغزوه العسكري بدأ بالغزو الفكري من مصر فبدأت حملات التخريب الفكري على يد الإرساليات التبشيرية، وعملاء الغرب، وعندما أراد احتلال بلاد المسلمين احتل أولاً مصر، وعندما أراد إذلال الأمة عمل على إذلال مصر، وعندما أراد هزيمة الأمة عمل على هزيمة مصر، وعندما أراد تجويع الأمة عمل على تجويع

مصر، وعندما أراد أخذ اعتراف المسلمين بإسرائيل عمل على أخذ اعتراف مصر، ولكن شعب الكنانة العظيم يرفض هذا الاعتراف.

فأعداء الأمة يعرفون بالاستقراء التاريخي أن مصر ما دامت منهكة، وضعيفة، ومهزومة، ومكبّله فإن أمة الإسلام تبقى كذلك، وإسرائيل تعيش في أمان، واطمئنان، وأما إذا كانت مصر حرة طليقة قوية فإن نفوذهم، ومصالحهم ستكون في خطر لأنهم يعرفون أن السهم الأخير الذي يقلب المعادلة، ويغير مسار التاريخ لمصلحة أمتنا دائماً ينطلق من كنانة مصر فهذا السهم هو الذي أنقذ الأمة في الحروب الصليبية، وهو الذي أنقذها في حروب التتار، والمغول، ولا زال هذا السهم في كنانة مصر فمتى ستتمكن مصر الكنانة من إطلاقه من كنانتها على هذا الواقع الرديء لتجعل عجلة التاريخ المتوقفة بأمتنا منذ أمد بعيد على محطة الذل، والهوان، والانكسار تدور 180 درجه، ولينقلب التاريخ رأساً على عقب، ولتعود أمتنا سيرتها الأولى؟ [1].

هذه مصر الكنانة التي في دمنا، وضميرنا، ووجداننا، وعقلنا، وتاريخنا ا ، يجب أن نعلمه لأبنائنا، ومن لا يعرف لماذا مصر كنانة الله في أرضه عليه أن يقرأ التاريخ جيداً.

مصر بتاريخها، وجغرافيتها، وبوزنها البشري، والاقتصادي، والعلمي، والحضاري، وقبل هذا بتاريخها العريق في التصدي للغزاة عبر العصور منذ المصريين القدماء الذين واجهوا الهكسوس إلى التتار، والصليبيين، وأخيراً دورها البارز، والحاسم في الصراع العربي الإسرائيلي الذي كان وسيبقى مركز، ومحور مواجهة الهيمنة الصليبية، ومحاولة التوسع الإسرائيلي في المنطقة.

مصر بهذه المقومات كانت، وستبقى بؤرة الصراع ذي البعد الديني في المنطقة،

(١) مقال رائع للكاتب الفلسطيني: محمد أسعد بيومي التميمي بعنوان: لماذا مصر كنانة الله في أرضه؟ مركز المقريزي للدراسات التاريخية www.almaqreze.net

ليس فقط بين العرب، وإسرائيل، ولكن بينها وبين القوى الصليبية الطامعة في المنطقة.

ولأن البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي له تأثيره الخطير على الجانبين باعتباره الحافز الأكبر في شحذ الوجدان، وحفز الهمم، ورفعها، وتحريك القوى، وتجييشها للعمل فقد تمكنت إسرائيل من استثماره لصالح أهدافها في المنطقة في مرحلتين بالغتي الأهمية:

كانت أولاهما: فيما عرف بالتسويق الإعلامي المكثف لنبوءة أحد الأنبياء ويدعى «جزقيال» والتي تقول- حسب مصادرهم- إن المسيح - عليه السلام- لن ينزل إلى الأرض فيملؤها عدلاً بعدما ملئت جوراً إلا بعد وقوع معركة من الألفية الثالثة معركة «أرمجدون» أو« هارما جدون» في أرضنا العربية بين بحيرة « طبرية» و«البحر الميت» وفيها تسيل الدماء جداول. ويفنى ما يزيد عن المليونين من البشر، وطبعاً- وكما تزعم النبوءة- سيكونون من «الجوايم» أي من نحن العرب، والمسلمين، ولن يكونوا من اليهود، وقد عملت إسرائيل تساندها الصهيونية العالمية على الإفادة من هذه النبوءة في العالم الغربي الصليبي الذي تسعده بالطبع عودة المسيح فيقف إلى جانب إسرائيل بكل قوته، كما هو واضح مشاهد لا يحتاج إلى دليل، وما أقوله هنا ليس من عندي بل هو بعض ما تحدثت به الكاتبة الأمريكية : «جريس هيلساي» في كتابها «النبوة والسياسة» والمترجم إلى العربية بمعرفة جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا.

تقول الكاتبة: **«إن إسرائيل نجحت للترويج لهذه النبوءة وأقنعت بها كثيرين من أصحاب القرار في الولايات المتحدة، بل إنها رتبت رحلات لزيارة أرض المعركة المنتظرة وذلك منذ عام 1938م.**

تلك كانت الخطوة البارعة الأولى على طريق اجتذاب، وحشد إسرائيل، والصهيونية من ورائها للعالم الصليبي ليكون ظهيراً لها فيما تخطط له من احتواء

دموي للمنطقة العربية، وفي طليعتها مصر، وهي خطوة نبوءة حزقيال، وعودة المسيح في الألفية الثالثة كما ذكرنا، وكانت بمثابة مقدمة.

أما الخطوة الثانية: فقد تحققت نتيجة لهذه المقدمة وذلك عندما أعلم المجمع المسكوني[1](المتحدث باسم الصليبية عامة) أعلن عما أسماه« تبرئة اليهود من دم المسيح- عليه السلام- »وبصرف النظر عن اختلاف معتقدنا كمسلمين يقول كتابنا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[2]، فحسب المعتقد عندهم أن اليهود هم قتلة المسيح فإذا جاء المجمع المسكوني في عام1963م ليعلن براءتهم من دمه تكون من زاوية أخرى إعلاناً من اليهود، والنصارى وقد أصبحوا إخوة ليس فقط متحابين، بل ارتفع من بينهم حاجز العداء بقتل المسيح، وأصبحوا على درب واحد يتجه فيه العداء المشترك إلا عدو واحد هو الإسلام[3].

وهذا ما هو حاصل اليوم..فالعالم الغربي الصليبي الذي تفرض منظمته المسماة بالأمم المتحدة يفرض على العالم كله عقوبات قاسية إذا لم توقع دولة على معاهدة حظر التجارب النووية، ويخضع الجميع، ويوقعون إلا إسرائيل فهي التي يقبل الغرب الصليبي رفضها للتوقيع مع علمه اليقيني باستمرار إنتاجها للسلاح النووي إضافة إلى المخزون الذي يعرفه العالم كله من الرؤوس النووية، نحن إذن أمام واقع مشهود لا مجال للارتياب فيه: واقع يتحرك بخطى حثيثة للوصول بقوة إسرائيل إلى

(١)المجمع المسكوني: معناه اجتماع رعاة ومعلمي الكنيسة من جميع جهات المسكونة «العالم»، لمناقشة أمر يخص الإيمان المسيحي، بهدف حفظ النظام، وسلامة العقيدة بين النصارى في شتى أنحاء العالم، ويقترب هذا المصطلح من تعبير «مؤتمر دولي»، ولكنه لا يخص الدول، بل الكنائس النصرانية في البلدان المختلفة، وهو تَجْمَعٌ نصراني يَنْزَعُ إِلَى تَوْحِيدِ جَمِيعِ الكَنَائِسِ.

(٢)(النساء/ ١٥٧).

(٣)ألغى هذا المجمع المسكوني بجرة قلم عشرات النصوص من كتابهم المقدس التي تؤكد أن اليهود هم من صلبوا وقتلوا المسيح!!!.

حيث تكون أقوى من جميع دول المنطقة مجتمعة؛ بل ولتكون قادرة على هزيمة العرب مجتمعين عند أي صدام.

ولأن مصر هي الدولة القوية، والمحورية التي أذاقت إسرائيل مرارة الهزيمة في حرب رمضان الشهيرة فهي بذلك الدولة الأولى المرشحة للثأر منها لتمزيقها من الداخل، وإضعاف قواها حتى لا تقوم لها قائمة فتنفرد إسرائيل بالعرب أجمعين دون جهد يذكر.

إن مصر المستهدفة قوية في التاريخ، والجغرافيا، والثقل البشري والحضاري، ومن ثم لم يجد معها استخدام القوة إلا إذا جرى التمهيد الكبير له حتى لا يهزم كما هزمت في حرب رمضان، والحل عند شياطين البشر من اليهود، والصهاينة، والغرب الصليبي السائر في ركابها هو اختراق مصر من الداخل من خلال ما يسمى بالمراكز البحثية العلمية، ومن خلال الدعوة إلى التطبيع مع العدو الصهيوني كما تنادي به جماعة كوبنهاجن، ثم الاختراق السياسي من خلال الوقيعة بين المسلمين والأقباط تحت مسمى« دراسة هموم الأقباط ومشكلاتهم» كل هذه المحاولات وقعت بالفعل على أرض الواقع، وتحدث بها الإعلام المصري المعاصر، لكن أخطر ما فيها جميعاً هو محاولة اللعب بورقة ما أصدره الكونجرس الأمريكي في الولايات المتحدة باسم قانون الاضطهاد الديني، والذي أعطت فيه أمريكا لنفسها الحق زوراً، وعدواناً، وتدخلاً فجاً في الشئون الداخلية للدول الأخرى، وذلك في أن تفرض عقوبات على الدول التي تمارس هذا الاضطهاد الديني.

وأجمعت كل مراصد الفكر السياسي، والثقافي على أن هذا القانون: (قانون الاضطهاد الديني) موجه في الدرجة الأولى لمصر، وذلك بتأثير بعض العناصر العميلة التي هاجرت إلى الولايات المتحدة، ونسمع بأخبار تظاهرهم أمام الكونجرس، وأمام البيت الأبيض عند زيارة المسئولين لأمريكا صارخين بأنهم يضطهدون في مصر، والواقع يكذب هذا الادعاء فالأقباط في مصر منذ فجر

الإسلام وإلى اليوم يتمتعون بحرية، ومساواة، ومودة شعبية مع المسلمين لا يكاد يوجد لها نظير في أي بلد آخر ليس في المنطقة العربية وحدها، بل ليس لها نظير في تعاملات الغرب الصليبي مع الأقليات المسلمة التي تعيش في ديار الغرب.

إن الوعي بمجريات الأمور، والأحداث، ودقة تحليلها، والربط بينها، واستخلاص النتائج منها ضرورة وطنية، وقومية لمعرفة اتجاه الريح، وكشف المستور من مخططات القوى المعادية لمصر، هذا الوعي ضرورة دينية قصوى لأن البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي حقيقة على كل أبناء مصر أن يدركوها أقباطاً، ومسلمين لأن التآمر على سفينة الوطن لو نجح -- لا قدر الله- فلن ينجو منه أحد، ولن تفرق الرصاصة الموجهة إلى صدر مصر بين قبطي ومسلم...ألا فلنكن على حذر[1].

(١)د. محمد عمارة : كتاب أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر، من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تقديم الدكتورعبد الصبور مرزوق، رقم٦٠، السنة ١٤٢٤هـ، ص٣- ٩ بتصرف يسير.